إلى الريف . . .

للأستاذ محمد يوسف المحجوب

إلى الريف سِرْ بي يا قطارُ فان لي ... فؤاداً للقيا الريف لهفان صاديا
إلى الريف طِرْبي، فالليالي بغيضة ... بمصر إلى مَنْ بات حيرانَ شاكيا

* * *

إلى موطني الغالي، ومَهْدِ طفولتي ... ومَبْعَثِ آمالي، ومأوى رجائيا
إلى مَشْرَعٍ، أَرْوَى فؤادي نميرُه ... وأسقيت من رقراقه الماء صافيا
إلى مَرْتَعٍ، فيه صحابي ومَعْشري ... وأهلي وجيراني، ومجلى شبابيا
إلى «قريتي» حيث المروج شذية ... تفيض جمالاً باهرَ النور باهيا
بربك عَجِّل، كي أُعيدَ نضارتي ... لديها، وأقضي العيدَ جذلانَ لاهيا

* * *

هنالك نُعمى الله فَيْضٌ، فلا ترى ... فقيراً تشكّي البؤسَ أو بات طاويا
ولا الشمسَ فيها بالضياء ضَنينةٌ ... ولا الماءَ مَقْطوعاً، ولا الثَّوْرَ خابيا
ولا الدفءَ ممنوعاً، ولا البردَ قاتلاً، ... ولا الأفقَ محدوداً، ولا الطرفَ نابيا
هنالك الثرى المحبوبُ يَذكو عبيرُه ... كأن الثرى المحبوبَ مَسَّ الغوانيا
حقول زهاها الحُسْنُ طُرّاً وأسفرتْ ... تتيهُ به وَهْداً، وتزهى روابيا
تَضم بساطاً سندسيًّا، وجَنَّةً، ... ومطبوعَ حُسْنٍ فاتنَ اللُّبِّ سابيا

* * *

أيا «قريتي» هذا وفائي أصوغه ... لديك ثناء خالد القول باقيا
اذا امتدح الناسُ المدائنَ وارتضَوْا ... حضارتَها، واستعذبوها مغانيا
فهأنذا أُعْلي مكانك في القُرى ... وأدرأُ بالأشعار عنك العواديا
وأفصح عن حُسْنٍ بوَاديك كامنٍ ... ليُبْصر قَوْمي منه ما كان خافيا
حياتُكِ أقصى ما تمنّاهُ مُتْرَفٌ ... بمصر إذا ما راح عن مصر ضاحيا[1]
هدوء، وإشراق، وزرع، وجَدْول ... وأُنْسٌ إذا أمسى بك الذئب عاويا!
أليستْ ذئابُ الوَحْش خيراً مغبّةً ... من الذئبِ انساناً لئيماً مُرائيا ؟

* * *

أيا «قريتي» كم أشتهي أن أعيش في ... ظلالك دَهْري هادئَ البال راضيا!
ويا رُفقتي فيها، إذا شَطّتِ النوى ... وأصبحتمُ تَسْتَبْعِدُون التلاقيا
فهأنذا أدنو بقلبي وخاطري ... وهاهي ذي روحي تؤدّي الجوازيا
وإن أرتحلْ عنكم إلى دار غُربتي ... فما زالَ قلبي حافظ العهد راعيا

محمد يوسف المحجوب
مدرس بالأوقاف الملكية

(١) المراد: ساكن ضواحي القاهرة

فصول ملخصة في الفلسفة الالمانية

٦ — تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأستاذ خليل هنداوي

لهنري هاين صفحة قيمة يقارن فيها بين مذاهب هؤلاء الثلاثة[1]، ويذكر مالهم من تأثير في الحركة الفكرية، وكأنه يجد أن الرسالات التي بشروا بها لم تكن تنطق إلا عن رسالة واحدة هي رسالة الكمال والمثل الأعلى. يقول:

(« لا نجد — عند كانت — إلا كتاباً مسطوراً. أما عند — فيخت — فنحن نتجرد من الكتاب ونرى أنفسنا ازاء رجل جبار قد اتحدت ارادته وفكرته حتى صارتا قطعة واحدة، كنت أقارن بين نابوليون وفيخت، وهما متفقان مزاجاً، وظهورهما في قومهما متشابه من جميع الوجوه، كلاهما يمثل سلطته « الذاتية » حيث لا نرى الفكرة إلا مقرونة بالعمل. ولكن هذه المبالغة في الارادة والاعتماد على الذات جعلت عملهما سريع الانهيار، فمذهب — فيخت — العلمي يشبه امبراطورية ذلك العظيم، تلك الامبراطورية التي لم تكد تظهر حتى تصدى لها الزوال فأصبحت كأن لم تغنَ بالأمس. ولكن ثورة « نابوليون » لا تزال تسري في عروق أوروبا، وهكذا كان شأن فلسفة «فيخت» فان مذهبه قد انهار. ولكن النفوس والأفكار لا تزال — من بعده — مضطربة حائرة

جاء « مذهبه في المثل الأعلى » خطيئة كبيرة في مجموع فلسفته. ترى في كل جزء من أجزائها استقلالاً سائداً وارادة واسعة وحرية بعيدة، وتحس بشيء يسيطر على عقول الفتيان. ومذهب « فيخت » في « الذاتية » كان يلائم خلقه الحديدي، ومثل هذا المذهب القوي لا يلائم غير صاحب هذا الخلق الجبار. ولا ننسى نصيب « شيلنج » فقد كان علماً من أعلام الفلسفة الألمانية. نظر إلى الطبيعة نظرة سلم وأحب أن يعلن الهدنة بينها وبين النفس، وأراد أن يجمع بينهما، فأحيا الفلسفة القديمة التي جاء بها اليه نان الأقدمون قبل سقراط. ولكنه استسلم كثيراً لسلطان الخيال، ولم يخاطب العقل كثيراً فتضعضعت فلسفته

(١) كانت وفيخت وشيلنج: من كتابه « ألمانيا »

تحت مطرقة العقل ، فجاء « هيجل » ونبوأ مقعد الفلسفة ، فاعتزل « شيلنج » ونزل فى « مونيخ » وهناك رأيته يعيش هائماً كالشبح ، بعينين غشيتهما صفرة ، ووجه ذليل كأنه صورة شقية لمدينة خربة مهجورة »)

هيجل Hegel

١٧٧٠ — ١٨٣١

حياته

ولد « هيجل » فى « استتجار » وأكب فى بدء نشأته على اللاهوت كزميليه من قبل ، فقضى خمسة أعوام فى جامعة « توبنج » حيث تعرف فيها الى «شيلنج» ونشأت بينهما صداقة متينة . . . وبينما هو يركب مركب الحيرة من دنياه مات أخوه ؛ فأحيا ماورثه منه فى نفسه شيئاً من الأمل الذى كاد ينطفىء بعد اياض . فعاد الى « إينا » حيث التقى للمرة الثانية « بشيلنج » وأخرج معـــه المجلة الفلسفية . ولم يكن هيجل حتى ذلك الحين ليطمع فى أكثر مما بلغ أو يمد عنقه الى أكثر مما نال ، ولـكن عبقرية هيجل أخذت تميط اللثام عن وجهها وتدرج بدون استحياء ، وظهرت براعته وحرية تفكيره فى المقالات التى حبرها للذود عن آراء زميليه ، وكأن الحظ أراد أن يواتيه مرة أخرى ، فترك « شيلنج » منبر الجامعة ، فاتسع المجال لهيجل لأبداء قوته وإظهار مقدرته ؛ فعجل ذلك فى تعيينه أستاذاً . وفى عام ١٨٠٦ حين كان الدفع يلعلع فى (ابنا) أنجز الفيلسوف كتابه La phénoménologie de l'esprit الذى يحتوى على جميع نظراته الفلسفية . وازاء هـذه الضربات التى نزلت ببلاده ، وقف وقفة التأمل ونظر اليها والى عللها نظر الفيلسوف . وقد كتب الى أحد أصدقائه هذه الرسالة . . (قد سر نفسى ماعلمته عنك بأنك عازم على قضاء الشتاء مستسلماً الى العزلة والفلسفة ، وقد تحب الفلسفة العزلة الهادئة ؛ ولـكنها مع ذلك لاتحتاج الى أن تكره المجتمع أو أن تفر من أعمال الناس . . وأنت ، أنت معير انتباهك لتاريخ اليوم ، وفى الحق لن تجد أبلغ منه ولا أوعى ، هو يريك أن الحضارة لابد غالبة على البربرية ، وأن العقل الذى يفكر سوف يقهر الفطنة المسكينة التى لاتفكر ، العلم هو حصننا المنيع . . يعلمنا ألا نبقى فاتحين أفواهنا كالمتثائبين أمام الحوادث ، لانجعلها وليدة مصادفة غريبة أو ابنة براعة رجل واحد ، ولا أن نقيد حظ نصر مملكة بربوة كان يجب عليها امتلاكها ، أو بأخرى أهملت نسياناً ، ولا أن نرسل الأنين حزناً وراء انتصارات قضى عليها جور الحظ . إن ثورة فرنسا الدامية قد أنقذت الشعب الفرنسى من أوضاع شوهت النفس الانسانية وخنقت أرواح الشعوب كما خنقت روح هـذا الشعب ، كل فرنسى ألف أن يتمثل مصرعه أمامه ، وهذه الأوضاع والتقاليد التى يحمل عليها الناس حملاً قد لقيت مصرعها فى فرنسا ، وهذا ما يكتب روح العظمة لهذا الشعب . . . .)

وليس التحليل النفسى موضوع هذا الكتاب ، وإنما هو يصف مراحل النفس فى أصل نشأتها وحياتها حتى اليوم الذى يتيقظ فيها كل شعورها ووعيها ، إذ تشعر بذاتها أنها قادرة على تحقيق « العلم المطلق » Sience absolue وبهـذا يمكننا أن ندعوه درس أطوار النفس البشرية ، وهذا الدرس يعمل بواسطة نظرياته المنطقية على إنماء الحركة البشرية وعلى إعداد حركة العلم المطلق الذى تبدو بوادره

وأخيراً بعـد محاولات وتجارب أخفقت فى ميدان الحياة أهاب به الحظ فدعى إلى « برلين » الى المنبر الذى كان يشغله « فيخت » فلبث فيـه حتى نزل به الوباء الذى اجتاحه فيمن اجتاح عام ١٨٣١ . وهو خلال تدريسه قد قام بأسفار ورحلات صغيرة تدل عليها رسائله الخاصة إلى امرأته اللطيفة ذات الروح الرقيقة التى كانت تعبد زوجها وتعجب به وتحترق ، ولـكنها لا تفهمه . زار المناطق المنخفضة ، ونزل فى « ڤينا » وهبط « باريس » ضيفاً على الفيلسوف الفرنسى « ڤيكتور كوزان » وقد كان منزله فى برلين محط النازلين من فلاسفة ولاهوتيين وأدباء على اختلاف نحلهم ومللهم ، ورجال الدولة الذين يهرعون إلى سماع حكمه ودرره ، وكتب فى هذه الفترة كتابه « المنطق » و « معاملة فلسفية » وبعض المحاضرات التى كان يؤثر بها طلابه فى الجامعة

أسلوبه

على أن أسلوب هيجل قد جاء مثلاً قاسياً فى التعقيد والابهام

اللذين اتصف بهما ، فهو صعب صعب لا يقدر على إدراك أحاجيه ومراميه إلا النبيه المفكر ، وهو — برغم هذا كان أعظم مفكر ألماني يجهر بآرائه ، وينزل بها صريحة إلى قرائه ؛ تلمسه فتجده مظلماً ، وتستوضحه فتراه مبهما ، أما هيجل الأديب فانك ملاقيه واضحاً في تضاعيف رسالاته ، أما هيجل الفيلسوف فهو ذو أسلوب وحشي ، تسنح له فكرة فيزجيها إلى الناس كما يريد بأسلوبه . ولقد تلمح في ثنايا سطوره كلمة أو عبارة لا معة فتعجب من هذا وتود لو يدوم ! وهو أشد استرسالاً — من كانت — إلى المبهمات ، لأن — كانت — تكاد تكون عباراته محدودة في مواطن معدودة ، أما أسلوب هيجل فهو يخالفه — أني أشرفت عليه — وأشرف عليك ، هذا الابهام وهذا التعقيد ...

فلسفته

إن المتعمق في فلسفة « هيجل » يجد أن جوهرها لا يخلو من أجزاء مقتبسة من « شيلنج » و « سبينوزا » ، وهيجل هو القائل عن « سبينوزا » (لا ينقص هذا الرجل إلا أن يعتبر الجوهر الالهي روحاً طاهراً « esprit pur » وأن يوحد هذا الروح مع الروح الانساني بدلاً من أن يرى أن الروح الانساني هو عنصر جاء على شكل الجوهر الالهي ولكنه مجرد من الحرية والشخصية) ونظر « هيجل » إلى الواحد المطلق الذي افترضه « شيلنج » قراعه هذا الواحد الذي امتزج فيه ضدان لا يجتمعان بوساطة قانون بارد ! . فمر « هيجل » بمادة سبينوزا والواحد المطلق ؛ وأناب مناب هاتين المادتين « الفكر » « l'idée » الماضي في حركته التفكيرية ... وقد تبدو هذه الحركة في ظاهرها حركة اعتباطية ، ولكنها — في الحقيقة — حركة جديدة تعمل على بناء الكون بناء جديداً . ولم يكن الكون المطلق « repos » عاملاً من عوامل هذه الحياة ، ولكن هي الفعالية ، قانون الحياة الأسمى . وهكذا يحل التبدل المستمر محل الثبات المستقر

وحركة الفكر تتمشى على نمط واحد ، وكل خطوة يخطوها الفكر إلى الأمام تتألف من ثلاث حالات متتالية . كل ما هو موجود يكتنفه حد من ذاته ؛ والوجود يحتوي على العدم . وجواز الوجود إلى العدم والعدم إلى الوجود إنما هو التحول . فالوجود والعدم والتحول إنما هي قانون الأشياء بدون استثناء ، فلا يحدث شيء ولا يترقى إلا تبعاً لهذه الأطوار . وقد شبهوا مذهب « هيجل » بكنيسة مشيدة على الطراز القوطي ، يرى الناظر في كل جزء منها رسم البناء مصغراً ؛ يريدون أن الفروع المشتقة من فلسفته صور مصغرة عن الأصول

ها هو ذا الفكر الماضي في حركته التفكيرية يظهر خطره ويبدو أثره في الكون من مهد الحياة الناقصة الى عهد الحياة الكاملة ، الى عصر الانسان ، وهو خلال ذلك يمر بأدوار الكمال ، وفي كل دور يتبدل شأنه ويقوى سلطانه وينفسح مداه . كل طور يصعد اليه هو أسمى من الطور الذي تخطاه ، ولكن السمو كل السمو لا يتجلى إلا في الفكر المبدع . وكل خلق — جاداً كان أو ذا روح — مخلوق لذاته ، لا يتزحزح عما هو عليه ، ولا يجوز من طوره الى طور غيره . وفي بعض مواطن ترى « هيجل » يرذل مذهب القائلين بالاستحالة . وكل كائن — عنده — يمثل صورة متفاوتة الكمال ملائمة لفكرة الكائن . أو قل « هدفاً » يرقى اليه في سيره نحو الهيئة الانسانية ، حيث يتم له لأول مرة أن يكمل ويتم . والطبيعة عنده ليست بصورة كاملة ، ان هي إلا [مسودة] في كتاب الخليقة ، لأن هيجل لا يرى فيها إلا مجموعة متناقضات لا تتوافق ولا تلتئم ، تدل على عجز ظاهر وعلى اضطراب في المنطق . وقد أعطانا صورة جديدة عن الكون كما يود أن يكون . فهو في نظراته الفلكية مثلاً لا يبحث كثيراً في هذا الفضاء اللامتناهي . وإنما هو يرى الأرض — نظرياً — قلب الوجود ، ويرى النجوم العالقة بالسماء كالبثور الطافحة على جلد الانسان

(يتبع)

خليل فتداوي

الثورة العربية
بقلم جرجي أبو النبع عودة المدرس بالعباسية الثانوية
كتاب يجب أن يقرأه كل مصري
يطلب من المكتبة التجارية بشارع محمد علي والنهضة بالمتابع والهلال بالنجالة وشنيدية بميدان سوارس بالقاهرة والعباسية بالاسكندرية ومكتبة شنب بالسكة الجديدة بطنطا
الثمن ٥ النسخ الباقية معدودة